

# الشدياق رآءد الحرتآت فف فكرنا الحءفء ءورء هآرون

فءوء الشءفآق آلى مسرء الءرآسة الءءبفة؁ ففءبلور على كرف الآفام ءرآء ذلك الوءه الآسءورف وءءضء معآله وقفمه . وءء ءبء ان الآءر الءف فءلفه لفس لغوفآ فءسب؁ ولاء اءبفآ فءسب؁ بل هو فف الءرءة الآولف آءر فكرف فآلفص؁ لءمه النءء الآءءآف وسءاه ءءمرء على الآوضآع فف مءءلف الءقول . وءآفآر ءءررف فف ءملة المباءفء الءف اعءنقها الشءفآق وءاهء فف سبفلها؁ ولكنه بقف مطمورآ ومءفلا اء لم فقفض له من فءلوه وفبرزه . فكفف عآلء الشءفآق هءآ آفآر ؟

هناك افكار ءءررفه ءءاءءنا مع ءزوء بونآبرء لمصر؁ وءآرففء فذكرنا بمن كان بفن رءالها من العلماء والمفكرفن الملعفن باللغات والعلوم والفنون؁ الءفن ءملوا معهم مباءفءء ءءورة الفرنسفة القآءمة على الءرفة والآءاء والمساواة. ءفر اننا لآ نعرف آءآرآ فكرففة مءكءوبة عن الءملة الفرنسفة؁ ما ءلا البفان البونآبرءف الشهفر الءف وءهه للشعب المصرف سنة ١٧٩٨؁ وءء ءءضمن عءءآ من المباءفءء الءف ءآرء لآءلها فرنسا ؛ ومما فقوله : « من الءهوءر

الفرنساوي المبني على اساس الحرية ... ان جميع الناس متساوون عند الله ، وان الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم بعض فهو العقل والفضائل والعلوم فقط . وبين الممالك ما العقل والفضل والمعرفة التي تميزهم عن الآخرين وتستوجب انهم يملكون وحدهم كما يخلو لهم من حياة الدنيا ... بعونه تعالى من اليوم فصاعداً لا يستثنى احد من اهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية ... » ويقول الامير حيدر الشهابي ، المؤرخ اللبناني الذي نقل هذا البيان عن كتابه « في الحملة الفرنسية الى مصر » ، ان اعيان مصر استغربوا هذا « الخطاب الهول والامر المجهول » وهم يسمعون له للمرة الاولى في حياتهم . وهناك افكار ثورية أتتنا عن طريق البعث المصرية الى الغرب ، التي اوفدها محمد علي ثم الخديوي اسماعيل ، لترجع بالتيارات الفكرية الجديدة وفي طليعتها التيار التحرري الذي حمل لواءه احد ابرز الاعضاء الموفدين وهو رفعت رفاعة الطهطاوي . لكن تأثير هذه البعث المصرية لم يتجاوز في مجمله بيئة محمد علي والخديوي اسماعيل ، بل بطانة هذين الحاكمين ، ما عدا رفعت الطهطاوي الذي ترك كتاب « تخلص الابرز في تليخيص باريز » وكان له ابرز الاثر في النهضة المصرية الحديثة ، وفي فكر الشدياق نفسه .

الى جانب حملة نابليون والبعثات المصرية الثقافية ظهر في عصر الشدياق اثران هامان باللغة العربية ، تربطهما بالثورة الفرنسية اوثق الروابط : الاول : كتاب « محاكمة مدحت باشا » لسان حال الاحرار المناوئين لعبد الحميد ، وهو يذخر بقيم ثورة فرنسا كالعادل والمساواة والحرية والشعب والحقوق ، ويعود في الكثير من آرائه للفكر الفرنسي مونتسكيو . والثاني : هو تاريخ الامير حيدر الشهابي ويتضمن وصفاً للحملة النابليونية على مصر ومعلومات مبسطة عن ثورة فرنسا . اما كتاب « محاكمة مدحت باشا » فقد كان له اثره في نهضة الشباب التركي وفي انتفاضة الاحرار الثائرين على سلطة عبد الحميد ، وقد ترك اعمق الاثر في مفكرينا عامة والأدباء التحرريين خاصة . واما تاريخ الامير حيدر فلا يشتم منه تجاوب صريح مع مبادئ ثورة الفرنسيين ، لكن مجرد تفصيله لانتفاضة الشعب الفرنسي ضد سالي حقوقه مدعاة للاثارة والتحريض ، وعامل من عوامل الوعي القومي والحقوقي لدى الجماعات والافراد . ومعلوم ان الامير حيدر عهد الى الشدياق بتنسيق وتصحيح اوراقه ، فلا يستبعد وجود الكتاب المذكور من بينها .

قد لا يفوت الشدياق مجمل المصادر المذكورة ، وذلك بحكم سعة اطلاعه وحرفة النساخة والترجمة والتصنيف والتصحيح التي احترفها في مكاتب الاستانة ومالطة وسواها ،

بل قد تكون هي وغيرها مهدت له الجور الثوري الملائم؛ الا انه لا تربطه بها رابطة في اكثر القضايا التحررية التي اثارها ، تلك القضايا التي استلهمها من مصادر اوثق قرابة بالثورة الفرنسية ، كما استلهمها من واقع عصره وبيئته الشرقية ، ومن تجربته الخاصة .

واهم الموضوعات الثورية التي عالجها المساواة العنصرية ، والتحرر النسوي ، والتساوي في توزيع وظائف الدولة ، والعدالة في توزيع الثروة بين الشعوب ، والدعوة الى التربية الانسانية السموح ، والحرية الدينية .

يرى الشدياق بالاستنتاج مع الكثيرين ، خاصة الذين خالطوا الفرنج منهم ، ان من مستلزمات التمدن ان يكون للانسان حرية في كل شيء : « فلا يكون تمدن حقيقي من دون حرية تامة » . ويعالج الحرية في شتى مظاهرها : فهو يتعرض للحرية العرقية ، ويلح في « الجوائب » باستنكار الى التمييز العنصري القائم في امريكا والى مساوئه وآفاته ، ويغمز من قناة استعباد العبيد والهنود الامريكيين ، وقد كان شديد الوطأة آنذاك . ونقده للتمييز العنصري يرد للمرة الاولى في اللغة العربية وعند الكتاب الشرقيين ، بل نكاد لا نعثر على شيء من هذا في كل ما كتبه مفكروننا في القرن الماضي .

ويتعرض ايضاً للحرية النسوية ، ويستهدف من تحرير المرأة اهدافاً ثلاثة : الاول : تحرير المرأة من الرق — فيحارب هذه التجارة وعاصمتها اذذاك الاستانة ، داعياً الى ضرورة استئصال هذا الشر باي ثمن كان . والهدف الثاني : تحرير المرأة من الجهل — فهو يحض على تعليمها وتدريبها ، وبصورة خاصة القراءة والكتابة والحساب وبعض الصنائع كالخياطة والتطريز ، ويشدد على عنصر المطالعة لاسيا الاخلاقية والادبية منها وما يمكن ان يوفره للفتاة من فائدة خلقية ولغوية : فالغاية هي انشاء نسوة فاضلات ، وهذا لا يتحقق الا بالعلم . والهدف الثالث : اسهام المرأة مع الرجل في حمل التبعات واقحامها ميدان العمل — فلما كانت الحرية في رأيه ملازمة للتمدن ، والتمدن عند الافرنج مشترك بين الرجال والنساء ، فان المرأة عندهم تسهم الى جانب الرجل في الاعمال والمساعي ، حيث النساء يبعن ويشترين ويتعاطين الفنون والصنائع ويكسبن في امور المعاش ، بل يطمحن الى مشاركة الرجل في السياسة وفي تسنم المناصب ، بينما يلاحظ الشدياق ان التمدن مقصور عندنا على الرجال دون النساء .

يتبين من هذا ان الشدياق اراد للمرأة الشرقية نهضة شاملة في ميادين التعليم والخلق والعمل والمسؤوليات كافة ، من منزلية ومهنية وعائلية وسياسية . فهو ، من هذا القبيل ، اول صوت شرقي نادى بالنهضة النسوية بهذا الشمول ، وهذا امر جريء ومستغرب في حينه . وهو ، في موضوع الدعوة الى تعليم المرأة ، سابق ان لم يكن مغاصراً للدعوة المعلم بطرس البستاني نفسه الى التثقيف النسوي .

بالاضافة الى التحرر النسوي والعنصري تظهر عند الشدياق نزعة اخرى مستمدة من مبادئ الثورة الفرنسية ، الا وهي الرغبة في توزيع مناصب الدولة بالمساواة ، والتساوي في حل تبعات الادارة والحكم . فيقول في مقال «في اصول السياسة وغيرها » بان الاصل في وظائف الدولة « ان تكون عامة يشترك فيها كل من كان جديراً بها من رعاياها ، فلا تقتصر منافع الدولة على فئة من اخصاء المناصب والوظائف فيها ، فبرشحون مثلاً اولادهم للجدارة بها بما لا يقدر غيرهم على مجاراتهم فيه ، فتصير هذه المنافع موروثه لهم . وهذه الطريقة شائعة عند جميع الدول . وهي من وجه عدل ومن وجه ظلم : فوجه كونها عدلاً ان وظائف الدولة لا ينبغي تخويلها الا لمن كان مستحقاً لها ، ووجه كونها ظلماً قصرها على اشخاص معلومين ، فاذا تدارك الفرع الثاني اعني تربية من لهم مزايا خلقية حصل التساوي في احراز تلك المنافع » . وكان مفكرو الثورة الفرنسية قد نادوا ، من قبل ، بالتساوي في حقل الحقوق ومضمار الواجبات تجاه القانون .

بل تظهر ، احياناً ، عند الشدياق بعض النزعات الاشتراكية لجهة التمايز الطبقي وتحرير الطبقة العاملة من الفقر والاستعمار ؛ فيها جم الاقطاعية في توزيع الثروة على افراد الامة ، محاولاً الانتصاف للفلاح والانتصار للفئة الكادحة . يقول . « فان دأب الصانع كدأب الفلاح من جهة انه يشقى ويكدّ النهار كله ولا حظّ له في الليل سوى اغمصاص عينيه . فكيف يزين هذا الصنف من الناس الدنيا ويهبجونها ويعمرونها وهم عطل عنها ومحدودون منها ؟ والمترفون فيها لا يحسنون عمل شيء وربما لم يكونوا ايضاً يحسنون الكلام . واذا كان الناس عباد الله في ارضه على اختلاف احوالهم ومراتبهم هم كالجسم الواحد باختلاف ما فيه من الاعضاء الجليلة والحقيرة ، فلم لا يجري العدل بينهم كما يجري بين الاعضاء ؟ فان الانسان اذا اكل شيئاً او لبس شيئاً فأنما يفعل ذلك لاصلاح الجسم كله . ام يزعم

المثرون اذا وسعوا على هؤلاء الضناك الصعاليك ، ونفّسوا عنهم الكرب الذي يكابدونه من جهة المعيشة ومن عدم قدرتهم على تربية اولادهم ، انهم يحملونهم على اهمال شغلهم وعلى تركهم الارض بوراً فتتعطل وتمحل فيهلكون جوعاً ؟ ام يحسبون الله تعالى انما خلق الفقراء لخدمتهم فقط ؟ لعمرى ان حاجة الغني الى الفقير اشد من حاجة الفقير الى الغني . ام يأنفون من النظر من مقامهم السامي الرفيع الى ذوي الصنعة والحوّل خشية ان يسري اليهم من يؤسهم ما يسوءهم ؟ ليت شعري هل جرب الاغنياء حيناً من الدهر ان يسعدوا الشقي بلههم وينعشوه برفدهم ، ثم وجدوه مقابلاً نعمتهم عليه بالكفران والبطالة وباهمال ما فرض عليه من قبل الله والطبيعة ؟ واذا كانوا يخشون منه الفساد لكسله وتعطله فخوفهم من فساده لفقره ومن كراهيته اياهم اولى ، لان الشقاوة ادعى الى الفساد من السعادة .

واثر الثورة الفرنسية بين ظاهر في هذه الفقرات ؛ وكثيراً ما يستشهد الشدياق في كتابي « كشف الخبايا » و « الساق على الساق » بفولتير وبقواله وآرائه ، سيما المبتوشة منها في « القاموس الفلسفي » ، وقد أخذ بها في هذا « القاموس » من نقد ديني واجتماعي .

الا ان اخطر ما تتصف به شخصية الشدياق التحريرية انما هو بدون ريب الدعوة الملحاح الى التسامح الديني والقضاء على التعصب المذهبي . كان موقف رجال الدين المعادي من اخيه اسعد ( الذي بدّل مذهبه ، وادى به هذا الى الموت ) نقطة الانطلاق ، كما يبدو ، لنظرة شدياقية شاملة الى الدين ، فاوحيت له آراء لم تعهد من قبل .

يمكن تقسيم الفكر الديني عند الشدياق الى قسمين : اولهما الاجتهاد الذي حاول به تأييد الحرية الدينية . وهو يسوقه في معرض ثورته على رجال الدين لموقفهم من شقيقه ، محاولاً دحض نظرهم الخاطيء الى حرية العبادة . فبعد ان يسائلهم ، مستنكراً محتجاً ، عن سوء معاملتهم لاخيه ، يأخذ في ايراد الادلة القاطعة على بطلان عملهم ، مستقيماً لها من التاريخ الديني والسياسي المعاصر ، ثم من التجارب نفسها . فهو يستشهد بتاريخ الاديان ، فيذكرنا بان مؤسسيها اقرّوا ذوي السيادة على سياحتهم وامرتهم ، فلم يكن دأبهم الا الخضوع على مكارم الاخلاق والامر بالبرّ والدعة والسلم والاناة والحلم ، فهي المراد في كل دين عرفه الناس . كما ان رؤساء الدين في التاريخ لم يأمرؤا ، لاهم ولا اتباعهم ، بسجن من

يخالف امرهم ، وانما كانوا يعترفونهم فقط . ولو نشأ الدين على المساواة الوحشية لما آمن احد ، لانه لا يقبل انسان على دين ما لم ير فيه خيراً مما كان عليه . ويتعرض لانبياء التوراة ، ويصرح بانه لا يمكن تقليدهم في اعمالهم وبان ما يجوز لهم لا يجوز لسواهم ، خاصة اذا اعتبرنا الفارق التاريخي والظرفي . ثم يلجأ الى الاسلام ، فيذكر بانه « لو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة » وبانه « لا اكره في الدين » ، وبان الاسلام لم يوجب على اهل الذمة سوى الجزية ، وهو امر هين والدول كافة توجبها على رعيته ؛ ولا يغفل ان يذكر ان الخلفاء استخدموا في الزمن القديم النصارى واليهود .

والدليل النفسي الذي يقدمه الشدياق يستمد من التجربة والاختبار ، اذ يؤكد بان الاضطهاد الديني والاجبار على امر ليس من الخير في شيء : فهو لا يزيد المضطهد الا كلفاً بما اضطهد لاجله ، ولا سيما اذا علم من نفسه انه على حق وان خصمه القاهر له على ضلال . ويمكن حصر القسم الثاني لفكر الشدياق الديني بالحملة المعروفة على رجال الدين وعلى المتعصبين من اتباع الاديان وما جرت تعصبهم من نتائج وخيمة . فينتع السلطات الروحية باسوأ التعوت ، ناسباً اليها كل فرية ، محاولاً النيل من كرامتها ومن مركزها السامي . ويسخر حتى ممن يتجادلون باسم الدين فيرميهم بضيق الافق وفساد التفكير ، سيما وان موضوع جدالهم لا يخضع لاي مقياس من المقاييس البشرية . ويدعو رجال الدين الى الريث والمهلة في معاملة مخالفيهم في الرأي والعقيدة ، لثلا يبتعدوا عن جوهر الدين القائم « على الالفة بين جميع الناس والمحبة والمساعدة وحسن اليقين بالله تعالى » . ويحمل من ثم على الحروب الدينية التي حصلت في التاريخ وسببت سفك دماء عباد الله لغير طائل ، ولكنه ينسب الشرور التي ارتكبت حتى الآن ، باسم الدين ، تارة الى سفلة العامة ، وتارة الى الرؤساء الروحيين وحبهم الرئاسة الذي يدفعهم الى تحريض الجهلة من الرعية على خلاف مراد الله وخلاف مراد الدول ، كما ينسبها تارة اخرى الى فقدان التمدن لدى عامة الشعب واميه وجهاله . ومن هنا كان الدين عنده مرادفاً للتمدن ، والتمدن مرادفاً للحرية . وما حقيقة التمدن في نظره سوى « ان يكون الناس متعاونين على امورهم المعاشية من دون التفات الى مباينتهم في تدينهم وتعبدهم » . فالطريق الى الاخاء الديني يكون اذاً بتهديب الاخلاق وبلوغ درجة التمدن القصوى .

هذه الازمة الدينية التي عاناها الشدياق افادته ، كما يرى محمد احمد خلف ، من جملة نواحي : فقد جعلته يلتفت الى الصراع الذي يقوم دائماً بين الدين والعقل ، وتنشأ عنه

المذاهب الدينية ؛ كما جعلته ينظر الى النزاع الذي يحصل بين الدين وبين الدولة ، وينتهي بان تصبح الدولة مدنية ؛ وجعلته ايضاً يجني فائدة كبرى لغوية وصرفية ، وتتعلق هذه بالتصحیحات والتصويبات والشروح المستفيضة للالفاظ الدينية ، خاصة المتعلقة منها بالطقوس وبالاعداد والتقاليد ، كما تتعلق بعدم وقوفه عند حد قدسية اللغة وكونها من اختراع الآلهة ، وايمانه بالثقافة الغربية ، والايان اسوةً بعلما الغرب بان اللغة بنت الحياة . ومهما يكن من امر فان الشدياق كان اول داعٍ في الشرق الى الحرية الدينية والتسامح المذهبي . وهو بحق رسول حرية العقيدة والفكر ، الى جانب المعلم بطرس البستاني ؛ وقد سار على منواله في نقد الاديان شبلي الشميل ، ولكن على اساس فلسفي وعقائدي ، فنال من الروحيين عامة ومن المذاهب خاصة . كما ثار على التعصب الديني فرح انطون ، ومن بعده الريحاني وجبران . فثمة اتجاه فكري تجاه الاديان ورجالها ، انطلق من مجلة «الجوائب» ومن «الساق على الساق» ، فاخترق القرن الماضي في هذه المنطقة ولما يقف ، وان تنوعت النظرة فيه .

هذه الميزات التي ميزت التيار التحرري الشدياقي في ميادين المرأة والطبقة والعرق والدين ، بلغت اشدها على الصعيد التربوي .

فقد نادى الشدياق في معرض آرائه التربوية ، بوجوب اغراء الصبي في صغره بالحلم والصبر والعفو والمجاملة ، التي تؤثر فيه اكثر من الجلد والركل والتأديب ، وذلك في عهد كانت فيه العقوبات المدرسية تجرح جسم الطفل وتلحق الاذى بصحته وبحياته . فانتصر مفكرنا للرفق واللين ، وحرر التربية من الشدة والقساوة ، ورفع الحيف النازل بالطفل من جراء الاساليب اللانسانية في تعذيبه وتأنيبه . كما انه نادى ، في وصاياه التربوية ، بمبادئ ثورية تحررية احدثت دهشة واستغراباً : فهو يقول بان على المربين ان ينفخوا في صدر الطفل ان الاديان جميعها من اصل واحد ، والمنتسبين اليها اخوان وان اختلفت مذاهبهم ، وان عليهم ان يعلموا الولد انه لا يسوغ له معاداة احد بسبب مخالفته في السحنة او اللغة ، وان عليهم ان يدرّبوا الطفل على رحابة الصدر ، فلا يضيق بمن يخالفه في المعتقد او الرأي ، ولا ينتقم من احد بسبب نيمة او لمجرد وشاية . على ان لا يتفرد بتطبيق هذه المبادئ المعلمون فحسب ، بل يستخدمها المربون جميعهم والوعاظ والخطباء .

هذه التوصيات التربوية الانسانية كانت ثورة في حينها على المدارس الطائفية الضيقة والمؤسسات التعليمية التقليدية في لبنان وسائر انحاء الشرق ، ولم يُسبق اليها في عصورنا الحديثة ولا في تراثنا الحديث . بيد انه لا بد من الوقوف على الينايع التي استقى منها فارس الشدياق روح آرائه التقدمية في ميادين التربية والمرأة والدولة والحريات على اختلافها . فبالاضافة الى بذور التيار التحرري النابع من البعثات المصرية الى اوربا وسواها ، والتي اطلع عليها الشدياق ولا ريب ، ثمة مصادر ثلاثة غذت المبادئ التي دعا اليها وكافح في سبيلها .

اولها : حرفته واشتغاله بالصحافة . فحرفة النساخة وانقطاع الشدياق الى اعمال التأليف والتصنيف والتصحيح والترجمة لدى المرسلين الامريكيين في جزيرة مالطة وفي دار الترجمة السلطانية ثم في دار الطباعة السلطانية ، وفرت له الوقوف على مؤلفات كثيرة وتيارات عديدة ، سيما وانه لم يصدر كتاب في الجزيرة لم يطلع عليه ولم يعمل فيه . اما اشتغاله بالصحافة فلا ينكر ما يسر له من سعة الاطلاع والمعرفة في مختلف الموضوعات وفروع العلم ، و « الجوائب » التي اسسها كانت المجلة الاولى ، في عصرها ، في العالمين الشرقي والاسلامي ، ولها مراسلون ومحررون في الاقطار المختلفة ، وكان الساسة والمعلقون الدوليون يعتمدون على انبائها وآرائها وانتقاداتها ، فكانت ملتقى الافكار ومحور النشاط العقلي .

ثاني هذه المصادر : الاتصال الشخصي الذي ترك في نفس الشدياق تأثيرات عميقة على الصعيد التحرري ، واهمها على الارجح تقربه من رفاة الطهطاوي في مصر ، الذي افسح له صدر « الوقائع المصرية » . ولا ننس مكوته في باريس واجتماعه فيها بالعلماء والادباء الفرنسيين ، وكذلك تنقلاته بين لندن وباريس .

والمصدر الثالث لتحررية الشدياق ، هو هذا الواقع الاجتماعي والسياسي الشاذ الذي كان سائداً في عصره وفي بيئته ، ولا سيما في اوائل القرن وأواسطه . اما البيئة فليس ادل على روحها الاقطاعية ورجعيتها وعنفها من تلك الحالة السيئة المؤسفة التي وصل اليها شقيق فارس الشدياق بسبب تبديله لمذهبه . اما الجيل فليس ادل على ما اكتنفه من ظلم وجور من تلك الصلاة التي ارسلها خليل الكافر ، احد ابطال « الارواح المتمرده » لجران خليل جبران ، والتي ترسم لنا ، كما يقول مارون عبود ، صورة صادقة عن ذلك الزمن الاقطاعي الرهيب :

« من اعماق هذه الاعماق نناديك ، ايها الحرية ، فاسمعينا .

من جوانب هذه الظلمة نرفع أكفنا نحوك ، فانظرينا .  
 امام عرشك الرهيب نقف الآن ، ناشرين على اجسادنا اثواب آباثنا ببقاياهم ، حاملين  
 السيوف التي اغمدت باكبادهم ، ساحبين القيود التي ابادت اقدامهم ، صارخين الصراخ  
 الذي جرح حناجرهم ، نائحين النواح الذي ملأ ظلمة سجونهم ، مصلين الصلاة التي  
 انبثقت من اوجاع قلوبهم .

فاصغي الينا ، ايها الحرية ، واسمعينا .  
 في زوايا الاكواخ القائمة في ظل الفقر والهوان ، تقرع امامك الصدور ؛ وفي خلايا  
 البيوت الجلاسة في ظلمة الجهل والغاوة ، تطرح لديك القلوب ،  
 وفي قراني المنازل المحجوبة بضباب الجور والاستبداد تحن اليك الارواح .  
 فانظري ، ايها الحرية ، وارحمينا .

منذ البدء وظلام الليل يخيم على ارواحنا ، فمتى يجيء الفجر ؟ من الحبوس الى الحبوس  
 تنتقل اجسادنا ، والاجيال تمر بنا ساخرة ، فالى متى نحتمل سخرية الاجيال ؟  
 ومن القيود الى القيود تسير ركابنا ، فلا القيود تفنى ولا نحن ننقرض . فالى متى نحيا ؟  
 ولا شك ان الينبوع الاهم الذي غذى شخصية الشدياق وشجع مناداته بالحريات  
 وفي طليعتها حرية المعتقد ، كان موقف الاكليروس العدائي من اخيه اسعد ، الموقف  
 الذي ادى به الى الموت ، وقد وُلد عقدة في نفس الشدياق من حيث نظرته الى رجال الدين  
 وما يمثلونه ، فراح في غمرة من الغضب والالم والكراهية للسلطات الروحية يفتح النار  
 على مضطهديه مجادلاً مقارعاً ومفنداً حججهم ونظرتهم الى حرية الرأي ، مكيفاً لهم التهم  
 الشنيعة ، رامياً تاريخهم القديم والمعاصر ، ناسباً له المساوىء والمخازي .

هذه الصيحات الثورية والآراء التحررية ، بما رافقها من جرأة وقوة وعنف بلغت حد  
 المجازفة ، ليس ينكر ما يكلف الاقدام عليها في عصر الشدياق ، والعهد عهد كم الافواه  
 وضرب الاعناق ، وقد خنق كل رأي مخالف في المبد وقضي على كل مقاومة وشلت كل  
 حركة فكرية واجتماعية .

ويكفي ان الشدياق اعلن ثورته الفكرية هذه وقام بها قبل ان يسطع نجم جمال الدين  
 الافغانى ويزغ نور اديب اسحق وشبلي الشميل وفرح انطون وسائر مفكري القرن الغابر  
 التحرريين ؛ وانه بينما كان اقرانه يعودون بالقرن الى الوراء ، كان هو يدفع به الى الامام  
 ويتجاوزه .